وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ / الدراسات العليا

الجوانب الاقتصادية في كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت٦٧١هـ/١٢٧٣م)

دراسة تاريخية

اطروحة مقدمة إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي

من قبل الطالب

غالب محمود سعيد

بإشراف

الأستاذ الدكتور

عدنان خلف كاظم التميمي

١٤٤٣هـ ٢٠٢١م

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي
بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾

سورة المؤمنون، الآية(٢١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إقرار المشرف

أشهدُ أنْ إعداد هذه الاطروحة, الموسومة بـ **الجوانب الاقتصادية في كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت٦٧١هـ/١٢٧٣م)- دراسة تاريخية "** لطالب الدكتوراه **(غالب محمود سعيد)** جرى تحت إشرافي, وقد التزم الطالب بالشروط العلمية والرجوع إلى المظان الاصلية, ومنها: احدث المصادر والمراجع واتبع الأسلوب العلمي والأمانة العلمية, وأصبحت جاهزة للمناقشة لنيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي.

التوقيع

أ. د عدنان خلف التميمي

/ / ٢٠٢١م.

بناءً على توصية المشرف نرشح الرسالة إلى المناقشة, بعد اطلاع الخبير اللغوي والعلمي.

التوقيع

أ.د عبدالخالق خميس علي

رئيس قسم التاريخ.

كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة ديالى

/ / ٢٠٢١.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إقرار الخبير اللغوي

أشهدُ أن هذه الاطروحة الموسومة بـ **" الجوانب الاقتصادية في كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت٦٧١هـ/١٢٧٣م)- دراسة تاريخية "** قد اطلعت عليها بالكامل وقومتها لغوياً, وأصبحت خالية من الأخطاء اللغوية.

التوقيــع:

الاســم: م.د سيف الدين شاكر نوري

التاريـخ: / /٢٠٢١م.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إقرار المقوم العلمي

أشهد أن هذه الاطروحة الموسومة بـ**" الجوانب الاقتصادية في كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت٦٧١هـ/١٢٧٣م)- دراسة تاريخية "** تخصص التاريخ الاسلامي, قومتها علمياً ومنهجياً, وعليه أرشحها إلى المناقشة.

التوقيع:

الاسم: **ا . د مقتدر حمدان عبدالمجيد**

التاريخ: / /**٢٠٢١م**.

جامعة بغداد

كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

المقوم العلمي الأول

التوقيع:

الاسم: **ا.م. د علي ابراهيم عبيد**

التاريخ: / / **٢٠٢١**

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

المقوم العلمي الثاني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إقرار أعضاء لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة اننا قد أطلعنا على الاطروحة الموسومة بـ **الجوانب الاقتصادية في كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت٦٧١هـ/١٢٧٣م)- دراسة تاريخية "** وقد ناقشنا الطالب (**غالب محمود سعيد**) في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ونرى انها جديرة بالقبول لنيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الاسلامي وبتقدير( ).

التوقيع:

الاسم : **ا.د محمد ابراهيم عبد**

عضواً

التوقيع:

الاسم: **ا.د يوسف كاظم جغيل**

عضواً

التوقيع: +

الاسم: **ا.د سماهر محي موسى**

عضواً

التوقيع

الاسم: **ا.د بهار احمد جاسم**

عضواً

التوقيع:

الاسم **أ. د عدنان خلف كاظم**

عضواً ومشرفاً

التاريخ : / / ٢٠٢١

التوقيع:

الاسم: **ا.د عبدالباسط عبدالرزاق حسين**

رئيساً

التاريخ : / / ٢٠٢١م

صادق على الاطروحة مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة ديالى بتاريخ / /٢٠٢١

الاستاذ الدكتور

نصيف جاسم محمد الخفاجي

العميد

/ / ٢٠٢١م.

م/ الاهداء

إلى . . . معلم العلماء محمد المصطفى (ﷺ) اعترافا وافتخارا .

إلى... امي الحنونة التي بذلت الكثير من أجلي ، وأعطت من عمرها سنوات في سبيل تعليمي .

الى . . . روح والدي الذي علمني أنَّ الأخلاص في العمل سر النجاح.

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث

م/ شكر وامتنان

الحمد على نعمه ظاهرة وباطنة والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله(ﷺ) رسول العلم والهداية والنجاة وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه اجمعين.

في هذه المرحلة المهمة والجميلة من عمري يسرني أن أتقدم بالشكر والامتنان الى أستاذي والمشرف على دراستي(**الاستاذ الدكتور عدنان خلف التميمي المحترم**) اذ كان لتوجيهاته العلمية ومتابعته الدقيقة لي طيلة مدة كتابتي الأثر الكبير في بلورة هذه الدراسة واظهارها بالشكل الذي هي عليه الآن فجزاه الله عني خير الجزاء وأنعم عليه بالصحة والعافية والعمر الطويل.

وأتقدم بوافر الشكر والعرفان لرئيس قسم التاريخ (**الاستاذ الدكتور عبد الخالق خميس علي المحترم**) على حرصه الشديد علينا وعنايته الكبيرة بشؤوننا حتى صار قدوة و ملهماً لكل طلاب الدراسات.

كما اتقدم بالشكر الجزيل لجميع الاساتذة الذين كان لهم دور مؤثر في دراستي خلال السنه التحضيرية، **ومنهم الدكتور عاصم اسماعيل كنعان، والدكتور عبد الباسط عبد الرزاق، والدكتور شاكر محمود اسماعيل، والمرحومة الدكتورة سميعة عزيز محمود، والدكتور أحمد مطر خضير والدكتور عدنان خلف، والدكتورة سوزان رحيم**، ونسأل الله أن يحفظهم من كل سوء وينعم عليهم بالصحة والعافية ويطيل في أعمارهم لخدمة العلم والدين.

كما أتقدم ببالغ الشكر والتقدير الى الدكتور عامر حميد السامرائي، والدكتور نعمه شهاب، والدكتور عثمان عبد العزيز صالح، والدكتور مقتدر حمدان، والمرحوم الدكتور حمدان عبد المجيد الذين كان لهم الأثر في اختيار الموضوع وللدكتور حامد حميد رشيد الذي قدم الآراء والملاحظات والنصائح الضرورية والمهمة بمنتهى الاخلاص والموضوعية لأجل إخراج هذه الاطروحة بشكل سليم ولائق.

كما لا يفوتني أن أشكر أختي العزيزة أمينة عبد الكريم على تعاونها الدائم والمستمر طيلة مدة السنة التحضيرية والكتابة، و كذلك أشكر اخوتي وزملائي في الدراسة الذين كانوا خير عون اثناء سكني في الاقسام الداخلية فجزاهم الله خيراً على ذلك.

ومن الجميل ان اعبر عن خالص شكري وتقديري لعائلتي الكريمة التي تحملت انشغالي بالدراسة وقلة صبري و كثرة همومي في الكتابة، والحمد والشكر لله من قبل ومن بعد على توفيقه ومنّة عليّ.

الباحث

م/ ثبت المحتويات

	الموضوع	الصفحة من	الصفحة الى
	الواجهة	أ	
	الآية القرآنية	ب	
	إقرار المشرف	ت	
	إقرار الخبير اللغوي	ث	
	إقرار الخبير العلمي	ج	
	إقرار أعضاء لجنة المناقشة	ح	
	الإهداء	خ	
	شكر وثناء	د	
	ثبت المحتويات	ر	ش
	المقدمة	١	١٠
	الفصـــــــل الأول: الامـــــــام القرطبـــــي دراسة في سيرته الشخصية والعلمية	١١	٤٨
	المبحث الأول: سيرة الامام القرطبي الذاتية وعصره	١١	٤٤
	١- سيرته الشخصية	١١	٢٠
	٢-سيرته العلمية	٢١	٤٤
	أ- مكانته العلمية	٢١	٢١
	ب-رحلاته العلمية	٢١	٢٩
	ت-شيوخ القرطبي	٢٩	٣٣
	ث-تلاميذ الامام القرطبي	٣٤	٣٥
	ج-مؤلفات الامام القرطبي	٣٥	٣٩
	ح-ثناء ومدح العلماء للأمام القرطبي	٣٩	٤٠

	خ–منهج الامام القرطبي في تفسيره	٤٠	٤٢
	د– أقوال العلماء في كتاب الجامع لأحكام القران	٤٢	٤٣
	المبحث الثاني: عصر الامام القرطبي	٤٤	٤٨
	١–الأوضاع الداخلية للعالم الإسلامي	٤٥	٤٦
	٢–انحسار المد الاسلامي في الاندلس	٤٦	٤٧
	٣–القاهرة تحمل لواء الإسلام	٤٧	٤٨
	الفصل الثاني: الموارد المالية في كتاب الجامع لأحكام القرآن للأمام القرطبي	٤٩	١٢٠
	المبحث الأول: اراء شمس الدين القرطبي في الزكاة(أهميتها وشروطها)	٤٩	٩٠
	المبحث الثاني: الغنائم	٩١	١٠٦
	المبحث الثالث: الفيء	١٠٧	١٠٩
	المبحث الرابع: الخراج	١١٠	١١٦
	المبحث الخامس: النفل	١١٧	١٢٠
	الفصل الثالث: المعاملات الاقتصادية في كتاب الجامع لشمس الدين القرطبي	١٢١	١٨٣
	المبحث الأول: البيوع المشروعة والبيوع غير المشروعة	**١٢١**	**١٦٨**
	١– البيوع	١٢١	١٣٩
	٢– البيوع المشروعة.	١٢٩	١٣٠
	٣– البيوع غير المشروعة	١٣١	١٣٩
	٤– الربا	١٣٩	١٤٦

	المبحث الثاني: الرهن	**١٤٧**	**١٥٥**
	المبحث الثالث: المضاربة (القراض)	**١٥٦**	**١٦١**
	المبحث الرابع: الوديعة	**١٦٢**	**١٦٦**
	المبحث الخامس: القرض (السلف)	**١٦٧**	**١٧٤**
	المبحث السادس: الهبات	**١٧٥**	**١٨٣**
	الفصل الرابع: النشاط الزراعي والصناعي والتجاري في كتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي	١٨٤	٢٧٥
	المبحث الأول: النشاط الزراعي	١٨٤	٢٠٣
	١- تعريف الزراعة	١٨٤	١٨٦
	٢- أهمية الزراعة	١٨٦	١٨٨
	٣- طرق الزراعة	١٨٨	١٩٤
	٤- المحاصيل الزراعية	١٩٤	٢٠٣
	المبحث الثاني: النشاط الصناعي	٢٠٣	٢٥٣
	١- الصناعة	٢٠٤	٢٥٠
	أ- تعريف الصناعة	٢٠٤	٢٠٤
	ب-الصناعة في القرآن الكريم	٢٠٥	٢٠٦
	ت-صناعة الدروع	٢٠٦	٢١٧
	ث-صناعة السفن	٢١٧	٢٢٢
	ج- صناعة الدباغة	٢٢٢	٢٢٧
	ح- صناعة النسيج	٢٢٨	٢٤٤
	خ- صناعة الزجاج	٢٤٤	٢٤٦
	د- صناعة صياغة الحلي	٢٤٦	٢٤٩

	ذ- صناعة الحُلي لدى العرب	٢٤٩	٢٥٠
	٢- الاسواق	٢٥٠	٢٥٣
	أ-تعريف الاسواق	٢٥٠	٢٥٠
	ب-الاسواق في القرآن الكريم	٢٥١	٢٥٢
	ت-الأسواق في السنة النبوية	٢٥٢	٢٥٣
	المبحث الثالث: النشاط التجاري	٢٥٤	٢٧٥
	١- السكة	٢٥٤	٢٥٨
	أ- السكة لغةً	٢٥٤	٢٥٤
	ب- السَّكَّة اصطلاحاً	٢٥٤	٢٥٤
	ت- دور السكة	٢٥٤	٢٥٦
	ث- فئات السكة	٢٥٦	٢٥٨
	٢- التجارة	٢٥٨	٢٧٥
	أ- التجارة لغةً	٢٥٨	٢٥٩
	ب-التجارة اصطلاحاً:	٢٥٩	٢٦٠
	ت-انواع التجارة	٢٦٠	٢٦٠
	ث-اهمية التجارة في القرآن الكريم	٢٦٠	٢٦٢
	ج-أهمية التجارة في السنة النبوية	٢٦٢	٢٦٤
	ح-المؤسسات التجارية	٢٦٤	٢٦٦
	خ-طرق التجارة	٢٦٦	٢٧١
	د- المعوقات التي تمنع التجارة	٢٧١	٢٧٥
	الاستنتاجات	٢٧٦	٢٧٨
	قائمة المصادر والمراجع	٢٧٩	٣١٠
	الملخص باللغة الانكليزية	C	A

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

• المقدمة وتحليل المصادر

الحمد لله الذي جعلنا خلائف في الارض لنعمرها، وهيّأ لبني آدم السبل لاستثمار خيرات الأرض، وحثّ الانسان للسعي في مناكبها، ورزقه من الطيبات يشكره عليها، فلله الحمد الكثير، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله(ﷺ)، صاحب الخلق العظيم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الاخيار ومن سار على هديه الى يوم الدين وبعد، فتحتل الجوانب الاقتصادية مكانة مرموقة في حياة الدول القديمة والحديثة، كما أنها تعد من الركائز الأساسية لأي مجتمع متحضّر، يرنو إلى تسلّق سلم التحضر والمجد. وقد اتحدت سمو تعاليم الاسلام الحنيف وقوته الإيمانية مع الجوانب الاقتصادية أثناء الفتوحات الإسلامية فكانت المحصلة الدولة العربية باقتصادها المتنوع وثروة مالية هائلة، واسهمت تلك الثروة الضخمة بشكل فعال في تطوير الحياة المعيشية للسكان، كما انها فتحت افق الابداع والخيال لفئة من الناس ساهموا في وصول الحضارة العربية الاسلامية قمة التطور في الحضارة العالمية في العصور الاسلامية.

وإذا أمعنا النظر في الاقتصاد الاسلامي لوجدناه انموذجاً فريداً يُحتذى به في كل جوانبه، لأنه مبني على قواعد أو ركائز عادلة و قوية مأخوذة من أمتن احكام الاقتصاد العالمي لأنها حاكمة لتصرفات الناس وليس محكوماً عليهم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وذلك الى توزيع الموارد المالية بشكل عادل بين المسلمين وغير المسلمين في أرجاء الدولة الواسعة عن الاقتصاد أثر فعّال في تطور المجتمع الاسلامي في العصور الوسطى وذلك راجع إلى أن الدين الاسلامي قد نظّم حياة

الافراد بما يحقق لهم مهمة الاستخلاف في الأرض ولم يدع مجالاً من مجالات الحياة من غير أن يقعّد القواعد لأجل تحقيق مصالح الانسان الدنيوية والأخروية.

ولم تخلو الدراسة من الصعوبات وذلك بسبب التداخل وتشعّب الأمور الاقتصادية مع المسائل الفقهية والاحاديث (بين كتب الحديث والتاريخ وغيرها من الكتب ما يحتم الإطلاع على مصادر متنوعة من هذه المجالات لاستكمال الصورة السليمة والوافية ، وأسباب اختياري لهذا الموضوع يعود إلى اطلاعي على هذه الشخصية وما تركته من مؤلفات وتراث علمي جم.

• الدراسات السابقة

ويقف المرء مذهولاً أمام كثرة الدراسات التي أنجزت حول القرطبي او عن كتابه الجامع، وشاء الله تعالى ان لم يتطرق احداً من الباحثين الى الجوانب الاقتصادية في كتاب الجامع وانما ركز الدراسات على الجوانب اللغوية والنحوية او الترجيحات في الاحكام الفقهية، او على منهجه في التفسير ، ومن تلك الدراسات على سبيل المثال:-

١-الدرس اللغوي في تفسير القرطبي اطروحة دكتوراه للطالب علي زكريا علي.

٢-منهج الأمام ابي عبدالله القرطبي في استنباط الاحكام من خلال تفسيره الجامع لأحكام القران_ رسالة ماجستير ، للطالب: حارث محمد سلامة.

٣-احكام القران_ دراسة وتحقيق وتخريج_ اطروحة دكتوراه_ للطالب: محمد يماني.

٤-أثر المعنى في توجيه الشاهد النحوي في تفسير القرطبي رسالة ماجستير ، للطالب: عبد الله محمد فرج الله.

٥-القرطبي نحوياً من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن، اطروحة دكتوراه، للطالبة: فاطمة المحرس.

٦-الاعراب والاحتجاج للقرآءات في تفسير القرطبي، رسالة ماجستير، للطالب: سيدي عبد القادر بن محمود.

٧-المعنى والاعراب في تفسير القرطبي: رسالة ماجستير للطالب: محمد سعد محمد السيد.

٨-الدخيل في تفسير القرطبي، اطروحة دكتوراه_ للطالب: أحمد الشحات أحمد موسى.

٩-القرطبي ومنهجه في التفسير، اطروحة دكتوراه، للطالب: القصبي محمود زلط

١٠- ترجيحات القرطبي في الحدود من خلال كتابه الجامع لاحكام القرآن، اطروحة دكتوراه، للطالبة: سعدية حامد المحياوي.

١١- القرطبي مفسراً، رسالة ماجستير، للطالب: علي سليمان العبيد.

١٢- منهج الامام القرطبي في اصول الدين- رسالة ماجستير- للطالب: احمد عثمان احمد.

١٣- اختيارات الامام القرطبي الفقهية في العبادات دراسة فقهية مقارنة_ رسالة ماجستير للطالب: عايض مقبول القرني.

١٤- اختيارات الامام القرطبي الفقهية في فقه الاسرة رسالة ماجستير للطالب: عبد الله صالح سعد.

• أهمية الموضوع

يمكن ابراز أهمية هذا الموضوع من خلال النقاط الآتية:

١- شهرة تفسير القرطبي المعروف بالجامع لأحكام القرآن في العالم الاسلامي بدليل إشادة العلماء به.

٢-للأمام القرطبي المميزة بين علماء المسلمين ويبدو ذلك من خلال ترجمة المؤلف في كتب التراجم و كثره اعتماد المفسرين على اقواله.

٣-الدروس والعلوم والفوائد المودعة في هذا التفسير مما يحث طلبة العلم على البحث والدراسة في هذا الكتاب.

٤-يتبادر الى الاذهان ان الجامع كتاب خاص باحكام القرآن بشكل خالص الا ان ذلك غير صحيح لأنه يتحدث عن التاريخ والسياسة الجغرافية و الاقتصاد وعلم الاجتماع

هناك عدة تساؤلات من أبرزها:-

هل الزكاة ضريبة اسلامية؟ لماذا كان أهل مكة مهرة في التجارة؟ ما هو دور العرب في التجارة العالمية؟ ما هي سر العلاقة الازلية بين العرب و شجرة الزيتون؟ هل الربا وسيله للربح؟.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على استعمال المنهج التاريخي القائم على سرد الأحداث والوقائع والمنهج الوصفي القائم على وصف الملابس، أو كيفية استخراج الزيوت، وذكر الحديث ذي الصلة بالجانب المالي والاقتصادي، وقد تم تقسيم الاطروحة على أربعة فصول سبقتها مقدمة وأعقبتها خاتمة تضمنت النتائج التي توصلت اليها الدراسة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع و ملخص الأطروحة باللغة الانجليزية.

- **أهم المصادر:**

وبسبب طبيعة الموضوع المتشعب فقد اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة وكثيرة من ابرز هذه المصادر هي:-

١- كتب التاريخ العام

أ- (تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام)، لصاحبه الذهبي ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ويعتبر من المصادر المهمة حيث يزودنا معلومات قيمة عن حياة الشخصيات المعروفة من الصحابة والمفكرين وغيرهم.

ب- كتاب (شذرات الذهب في اخبار من ذهب) لأبن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي بن احمد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) وكانت فائدته في الفصل الاول من هذه الاطروحة حيث قدم للدراسة معلومات ذات قيمة كبيرة خاصة عند الترجمة لبعض الشخصيات التاريخية المعروفة مع التعليق على دورهم مكانتهم في المجتمع الاسلامي.

٢- كتب التراجم والطبقات

أ- كتاب (وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان) لأبن خلكان، ابي العباس احمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، ورغم انه كتاب يتحدث عن سيرة الشخصيات البارزة في تاريخ امتنا الاسلامية الا المؤلف يذكر الاحداث التاريخية مهمة جداً في اثناء التحدث عن شخصية ما ، وهذا ما اضاف للكتابة اهمية كبيرة.

ب- (الوفيات) لابن قنفذ ،احمد بن حسن(ت٩٧٢هـ/١٥٦٤م)، وهذا الكتاب موجز الا انه يقدم معلومات هامة عن حياة الشخصيات الاسلامية بطريقة مختصرة.

ت- كتاب (غاية النهاية في طبقات القراء) لأبن الجزري، ابي الخير محمد بن محمد اختصار لتراجم طبقات القراء الكبيرة ومرتب على حسب الحروف.

ث- طبقات المفسرين للداوي محمد بن علي (ت٩٤٥هـ/١٥٣٨م)

٣- كتب الجغرافية والرحلات

أ- كتاب (سفرنامة) لخسرو، ناصر الدين علوي(ت٤٣١هـ/١٠٣٩م)، يتحدث هذا الكتاب عن المدن التي زارها بتفاصيل دقيقة ومميزة وكانت لمصر الحظ الأوفر من الوصف ومما زاد من اهمية هذا الكتاب ذكره للأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية إذ إنه يتحدث عن الأسعار في الأسواق وندرة وقلة المواد الغذائية والحالة المعاشية اليومية للناس، كما يقدم معلومات قيمة عن التجارة وحركة القوافل، وما يتعرض له أصحاب تلك القوافل.

ب- (معجم البلدان)، ياقوت الحموي، الشهاب الدين ابو عبد الله بن عبد الله(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وهذا الكتاب يتحدث عن المدن والبلدان التي زارها ياقوت، لكنه لم ينسَ ذكر الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في تلك البلدان.

ت- كتاب (الروض المعطار في خبر الاقطار) للحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ويعد هذا الكتاب معجماً جغرافياً تاريخياً، إذ يصف الأقطار، وما يتميز به، ثم يذكر الاخبار والوقائع المتصلة بتلك البلدان، ورتب على حروف المعجم وحسب ترتيب المشرقي وهو كتاب موجز.

٤- كتب اللغة

لا يمكن الاستغناء عن كتب اللغة العربية في أي دراسة كانت لذا اعتمدنا على الكتب الاتية:

أ- كتاب (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس، أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م).

ب- (لسان العرب) لأبن منظور، محمد بن مكرم(ت٧١١هـ/١٣١١م)

ت- كتاب (مختار الصحاح)، للرازي، محمد بن أبي بكر(ت٧٢١هـ/١٣١١م)

ث- (القاموس المحيط) للفيروز آبادي، ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)

٥- كتب الحديث

لا نستطيع ان نمر مرور الكرام على كتب الحديث عند دراسة موضوع ما بل اننا نعتمد بشكل كلي على كتب الحديث ولا سيما كتاب (صحيح البخاري) للبخاري، محمد بن اسماعيل(ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، وكتاب (صحيح مسلم)، لمسلم بن الحجاج(ت٢٦١هـ/٨٧٤هـ).

اما كتب السنن فقد اعتمدنا على الكتب الآتية:

أ- كتاب (سنن ابي داود)، لأبي داود سليمان بن الأشعث (ت٢٥٧هـ/٨٨٨هـ).

ب- كتاب (سنن ابن ماجه) لابن ماجه، محمد بن يزيد بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/٨٨٨هـ).

ت- (سنن الترمذي)، للترمذي، محمد بن عيسى(ت٢٧٩هـ/٨٠٩٢م)

٦- كتب الفقه

كتب الفقه من أكثر المصادر التي تحتوي على معلومات قيمة وفائدة كبيرة لأنها تتحدث عن الأحكام الخاصة بالجوانب الاقتصادية ومن أهم تلك الكتب:

أ- كتاب (الام) للشافعي، محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ/٨١٩م) وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات هامة عن احداث و امور اقتصادية مختلفة مثل توزيع الاراضي في البلاد المفتوحة، ولا سيما ان الشافعي يبدي آرائه في أكثر المسائل الاقتصادية ثم

يقارنها مع آراء أصحاب المذاهب الأخرى، مع تقديم أدلة لرأيه دون تقليل من آراء الآخرين.

ب- كتاب (بدائع الصنائع) للكاساني، علاء الدين بن مسعود (ت٥٨٧هـ/١١٩١م) في هذا الكتاب عمد المؤلف على العمل على ابراز اراء الفقه الحنفي ومقارنته بأراء المذاهب الاخرى لاسيما المذهب الشافعي، ويعطي أدله على الحكم الحنفي في مسألة ما، و يعمل على رجحانه على اراء المخالفين له.

ت- (الكافي) لابن قدامة، ابي محمد عبد الله بن احمد (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، ثم الاعتماد على هذا الكتاب بشكل كبير في اكثر الفصول ، وذلك لأنه كتاب خاص بآراء المذهب الحنبلي في الجوانب الاقتصادية والامور المالية ولاسيما ان المذهب الحنبلي رأي في كل انواع الاراضي الزراعية والبيوع وغيرها لأنه يظهر رجحان أدلة الحنابلة.

٧- كتب التفسير

كتب التفسير ضرورية جداً ولاسيما فيما يتعلق في تفسير بعض الآيات الخاصة، او التي تتحدث عن جوانب الاقتصادية لهذا اعتمدت على بعض الكتب:-

١-كتاب (جامع البيان في تأويل اي القرآن)، للطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢هـ)، ويحتوي هذا التفسير على روايات متعددة أثناء الحديث عن آية ما، ويبين سبب نزول الآية، إذ يعد من التفاسير المهمة لكثرة الاخبار والمعلومات الموجودة فيه، ولاسيما وأن لصاحب التفسير شهرة كبيرة، اذ انه يعد صاحب مذهب لوحده.

٢-كتاب تفسير (معالم التنزيل)، للبغوي، الحسين بن مسعود(ت٥١٦هـ/١٢٢م) و هو تفسير موجز وسهل بعيد عن الاستطراد والحشو، الأحاديث النبوية مرفوعة إلى

أسانيدها، وهو لا يكثر من رواية الاخبار الاسرائيلية كما أنه يذكر بعض الأحكام الفقهية و اسباب نزول الآيات القرآنية:

٨- كتب الخراج والأموال

يمكن القول إن كتب الخراج والأموال من الأعمدة الرئيسة لدراسة الجوانب المالية والاقتصادية فهي السكة، التي تستقيم عليها اية دراسة اقتصادية، ولأهمية هذه الكتب اعتمدنا على الكتب الاتية:-

أ- كتاب (الخراج) لأبي يوسف، يعقوب بن ابراهيم(ت١٨٢هـ/٧٩٨م)، وقد امرنا هذا الكتاب بمعلومات هامة عن أمور الخراج، اذ انه يبين القوانين أو الشرائع لكيفية جمع أموال الخراج وطرق العمل على إقامتها من خلال العناية بوسائل الري، و كيفية إحياء الاراضي الموات، كما يتحدث عن الغنائم.

ب- كتاب (الاموال) لأبن سلام، ابو عبيد القاسم بن الهروي (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م)، لهذا الكتاب أهمية كبيرة وذلك بسبب كثرة آراء ابن سلام في الأمور الاقتصادية المتنوعة، وقد كان رافداً لنا لمعلومات مهمة عن الزكاة والجزية والخراج وغير ذلك.

ت- (الاموال)، لابن زنجويه، حميد بن مخلد (ت٢٥١هـ/٨٦٥م) ومن أهم ميزات هذا الكتاب كثرة تعليقات ابن زنجويه على النصوص المتعلقة بالأمور الاقتصادية، لذا يقدم معلومات ذات فائدة كبيرة ولاسيما في أُمور الخراج والجزية والفيء.

٩- كتب المراجع

لهذه الكتب أهمية كبيرة فهي الآراء والافكار من زوايا مختلفة، وهي تمدنا بمعلومات مفيدة بلغة عصرية حديثة، كما أنها نقطة البداية للوصول إلى المصادر

الأصلية الاولية، لذا لا يمكن الاستغناء عنها في اية دراسة كانت، كذلك هي ضرورية ومهمة لطلاب الدراسات العليا من أجل الاطلاع على الوقائع من وجهة نظر المؤلفين من المسلمين وغير المسلمين لأجل تكوين الصور الحقيقية لحدث ما، ومن أبرز هذه الكتب كتاب (حضارة العرب) لغوستاف لوبون، و كتاب (العالم الاسلامي في العصور الوسطى) لجيمس ليندزي، وكتاب (فقه المعاملات المالية المقارن) لزعتري، علاء الدين فضلاً عن العديد من المراجع الأخرى التي غذت الاطروحة بمعلومات هامة ذات صلة بالموضوع.

ونسال الله أن يوفق الجميع لخدمة أُمتنا الاسلامية السمحاء.

الباحث

الفصـــــل الأول

الأَمـــــام القرطبـــي

دراسة في سيرته الشخصية والعلمية

المبحث الأول

سيرة الامام القرطبي الذاتية وعصره

١- سيرته الشخصية

أ- أسمه:

هو محمد بن أحمد بن ابي بكر بن فرح[١].

ب- كنيته[٢]:

يُكنى بأبي عبد الله نسبة إلى ابنه الأكبر عبد الله الذي حصل على إجازة من والده.

ت- نسبه:

يرجع نسبه إلى الخزرج وهو بطن من الأنصار، وهي إحدى بطون الوحي وكان لها اثر كبير في مؤازرة الرسول(ﷺ) في نشر الدعوة الإسلامية، والخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن أمرى القيس[٣].

ث-ألقابه

لقب الأمام شمس الدين[٤] بالأنصاري نسبة الى الانصار الذين ناصروا الرسول

---

(١) أبن فرحون، إبراهيم بن نور الدين (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، تحقيق: مأمون بن محي الدين ، الجنان، ط١،(دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ج٢،ص٣٠٨.

(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص٣٠٨.

(٣) الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن احمد، (ت٩٤٥هـ/١٥٣٨مـ)، **طبقات المفسرين**، تحقيق: لجنة من العلماء ، ط١، (دار الكتب العلمية ،بيروت،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)،ج٢،ص٧٠.

(٤) البغدادي، إسماعيل باشا محمد أمين بك مير سليم الباباني، **أيضاح المكنون في الذيل على الكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تعليق، رفعت بليكه الكليس، (دار احياء التراث العربي، بيروت،١٩٥٤م)م١، ص٨١.

ﷺ والأندلسي نسبة الى بلاد الاندلس والقرطبي؛ لأنه من سكنة مدينة **قرطبة**[١] وهي من كبرى مدن الاندلس وحاضرة الدولة العربية الإسلامية في تلك البقاع، لقب بالخزرجي نسبة الى قبيلة خزرج العربية[٢].

ج- ولادته:

لم تذكر المصادر التي ترجمت للأمام القرطبي إلى سنة ولادته والراجح ان الامام القرطبي ولد في قرطبة في أوائل القرن السابع الهجري (٦٠٠-٦١٥هـ/ ١٢٠٣-١٢١٨م)[٣] وعاش فيها في ظل سيطرة دولة الموحدين على الأندلس حتى احتلالها من قبل الاسبان سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)[٤] اذ انتقل بعد ذلك إلى مصر التي وصلها سنة (٦٤٧هـ/١٢٥٠م) واستقر بها حتى وافته المنية فيها[٥].

---

(١) **قرطبة:** بضم اول وسكون ثانية وضم الطاء المهملة والياء الموحدة، كلمة عجمية رومية وهي مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها، وكانت سريراً لملكها وقصبتها، وبها كانت ملوك بني امية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء، وبينها وبين البحر خمسة أيام وهي حصينة بسور من حجارة ولها بابان، وقد خربت قرطبة سنة (٤٤٠هـ)، وصارت مدينة متوسطة، ياقوت الحموي، أبو عبدالله بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، (دار صادر ، بيروت، ١٩٦٠م)، ج٧، ص٢٥..

(٢) البغدادي، أيضاح المكنون، م١، ص٨١.

(٣) الصفدي، صلاح الدين خليل (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)،**الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط١، (دار احياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)،ج٢،ص٨٧.

(٤) قامت دولة الموحدين على يد محمد بن تومرت(٤٥٨-٥٢٤هـ)، على أساس الفهم النقي لدين الإسلام والتوحيد الخالص وصفاء العقيدة، وظهرت الى الوجود بعد القضاء على دولة المرابطين عندما دخلت قوات الموحدين مدينة مراكش سنة(٥٤١هـ) حتى سقطت سنة (٦٦٨هـ). ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق: خليل شحاذه، (دار الفكر، بيروت٢٠٠٠م)، ج٦، ص١٨٣.

(٥) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، **الإحاطة في اخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبدالله عنان ،(الشركة المصرية: القاهرة،١٩٧٣م)، ج١، ص٥٥١؛ السيوطي، جلال الدين=

م- نشأته:

نشأ الامام القرطبي في مدينة قرطبة حاضرة بلاد الاندلس إذ كانت منتهى الغاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة أولي الفضل والتقى، ووطن اولي العلم والنهى، وقلب الدولة والاقاليم، وينبوع متفجر العلوم، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر، وبها أنشئت التأليفاتُ وصنَّفت التصنيفات الفائقة(١).

وذلك لأنها أخذت شعلةً من نور الإسلام فأصبحت منارة للعلم، وأكثر بلاد الأندلس كتباً، وأهلها أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب(٢)، وظهرت آنذاك مقولة طريفة في الأندلس تذهب الى انه اذا مات عالم بأشبيلية(٣) فأريد كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها(٤).

وفي هذا الجو المشحون بالعلم وأهله نشأ الامام القرطبي(٥) ومن الطبيعي ان جواً كهذا يعج بحلقات العلم ومدارسه أن يلمع في سمائه عدد من النجوم المميزة، كان منها هذا الفتى الموهوب الذي ذاع صيته وانتشرت مؤلفاته وسارت بها الركبان(٦).

=عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ/١٥٠٥م)، **طبقات المفسرين العشرين**، تحقيق: علي محمد عمر ،ط١، (مكتبة وهبة، القاهرة،١٣٩٦م) ،ص٩١-٩٢.

(١) سلمان، مشهور حسن محمود، **الأمام القرطبي شيخ أئمة التفسير**، ط١، (دار العلم، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص١٥.

(٢) المقري، احمد بن محمد التلمساني،(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب**، تحقيق: أحسان عباس، (دار صادر،بيروت،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)،ج٢،ص٢١٠.

(٣) **اشبيلية:** مدينة كبيرة من مدن الاندلس تقع غربي قرطبة قريبة من البحر، وبها زراعة القطن، وهي على شاطئ نهر عظيم يقال له الوادي الكبير، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٣١.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢١٢.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات ،ج٢، ص٨٧، حسين، محمد الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ط٧، (مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م)،ج٢،ص٣٣٧.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القران ج١، ص٣٧ ؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط١، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٥، ص٧٤.

وأقبل الأمام القرطبي منذ صغره على العلوم الدينية والعربية، إذ تعلم العربية والشعر إلى جانب تعلمه القران الكريم، وتلقى في قرطبة ثقافة واسعة في الفقه والنحو والقراءات وغيرها على يد جماعة من العلماء المشهورين وكان يعيش آنذاك في كنف أبيه ورعايته وبقي كذلك حتى وفاة والده سنة (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)[١].

وكان إلى جانب تلقيه العلم ينقل الآجر لصنع الخزف في شبيبته، وقد كانت صناعة الخزف والفخار من الصناعات التقليدية التي انتشرت في قرطبة آنذاك، وعاش حياة متواضعة اذ انه كان من أسرة متوسطة الحال مع علو حسبه ونسبه، إلا انه أنبه شأن أسرته وأعلى ذكرها بما قدمٌ من آثار ومؤلفات[٢].

وعاش مأساة الاندلس وشاهد سقوط قرطبة حاضرة الاندلس سنة(٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م) وربما قرر أن لا يعيش فيها حتى لا يشاهد فواجع الأندلس القادمة فأرتحل إلى مصر[٣]، ولكي ندرك مدى عبقرية هذا الرجل لابد ان نلقي نظرة سريعة على البرنامج التعليمي المذهل لأطفال المجتمع الأندلسي في عصر الامام القرطبي حتى تنبئك عن اثر البيئة القرطبية في تكوين العقلية العلمية للأمام القرطبي[٤].

فهذا **أبو بكر بن العربي**[٥] (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م) يقول: " **والذي يجب على الولي الولي في الصبي المسلم، إذا عقل أن يلقنه الايمان ويعلمه الكتابة والحساب**

---

(١) سلمان، الامام القرطبي، ص١٥، السنوسي، القرطبي،ص٣٤.

(٢) الجامع القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج١، ص٣٨، سلمان، الامام القرطبي، ص١٨.

(٣) أبن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي،(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، **شذرات الذهب في اخبار من ذهب**، تحقيق: عبدالقادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، ط١، (دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م)، ج٧، ص٥٨٥، حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ٣٣٦.

(٤) سلمان، الامام القرطبي، ص٣٣، السنوسي، القرطبي، ص٢٥.

(٥) **ابن العربي**: هو محمد بن عبدالله بن محمد المعافري المشهور بالقاضي أبي بكر بن العربي الاشبيلي المالكي، الحافظ عالم اهل الاندلس، ولد سنة (٤٦٨هـ)، في اشبيليه وتوفي سنة (٥٤٣هـ)، في مدينة=

ويحفظه أشعار العرب العاربة، ويعلمه العوامل في الاعراب، وشيئاً من التصريف ثم يحفظه إذا أستقل وأشتد في العشر الثاني كتاب الله ثم يحفظه أصول سنن الرسول"[١].

وقد أوصى بن العربي بأن لا يخلط في التعليم بين علمين إلا أن يكون الطالب ذا جودة في الفهم وقوة في النشاط وقابلية لذلك، ويظهر أن الامام القرطبي كان من أولئك الذين اتسموا بالجودة في الفهم وقوة في النشاط الذهني، إذ إن ما حصله من معارف مختلفة نجد أثرها في تفسيره، وهذا يوحي بانه تعلمها منذ الصغر[٢].

ثـ-حالته الزوجية:

لا تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن الحالة الزوجية للأمام القرطبي لكن يبدو أنه كان متزوجاً عندما قتل والده على يد الاسبان سنة (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)[٣].

وعلى الأغلب أنه كان شاباً في بداية حياته بدليل أنه يسأل شيخه ابن ابي حجة فقال: غسّله وصل عليه ففعلت وقد تحمل الامام بعد وفاة والده تدبر أمور معيشة عائلته إذ كان ينقل التراب إلى قرطبة لصنع القرميد[٤] .

=فاس، ومن مؤلفاته، أحكام القران، قانون التأويل، انوار الفجر، والعواصم من القواصم. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٧، ص١٥٩، أبن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص٢٢٥.

(١) السنوسي، القرطبي، ص٢٣، **ترجيحات القرطبي في التفسير (من اول الكتاب الى الآية ١٨٨) من سورة البقرة**، (رسالة ماجستير في أصول الدين). عبدالله عيدان أحمد، جامعة ام القرى، كلية أصول الدين، ١٤٢٨/١٤٢٩هـ) ،ص١٧.

(٢) سلمان، الامام القرطبي، ص٣٥؛ السنوسي، القرطبي، ص٢٤.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج٥، ص٢٧٣.

(٤) السنوسي، القرطبي، ص٨٨؛ سلمان، الامام القرطبي،ص١٨.

ويبدو أنه انجب أولاده في قرطبة ولاسيما أبنه عبدالله وقد اشتهر بذلك، والثاني شهاب الدين أحمد الذي أصبح من تلاميذه وهو أكثر شهرة من أخيه عبدالله، وهو من المشاركين في العلم[١] .أما باقي أفراد عائلته فهم غير معروفين، ولاتذكرهم المصادر، ولعل ذلك راجع إلى طغيان شهرة الامام القرطبي[٢].

د- أخلاقه وصفاته:

أولاً: زهد الامام القرطبي وورعه:

كان الامام القرطبي من الزهاد الورعين، لذا أثنى عليه المؤرخون لتحلّيه بهذه الصفات الحميدة والاخلاق الحسنة لما كان يتمتع به من الورع والتقى وزهد في الدنيا وزخرفها، ونلمس ذلك في كتبه إذ يشكو دائماً من كثرة الفساد، وانتشار الحرام ومن خلال ذمه وللغنى الذي يجعل صاحبه مزهواً به بعيداً عن تعهد الفقراء ضعيفاً في التوكل على رب الأرض والسماء، ولقد أطلق بن فرحون(٧٩٩هـ/١٣٩٦م) أصدق وصف على الامام القرطبي بقوله: (كان القرطبي من عباد الله الزاهدين)[٣].

ثانياً: شجاعة الامام القرطبي وجرأته في الحق:

أمتلك الامام القرطبي قلباً شجاعاً جريئاً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد تسلح بهذه الجرأة من علم واسع وورع مشهود واستهانة بالدنيا ومظاهرها وما يدل على ذلك هو كلامه عن الحكام في عصره، إذ يقول عنهم: " **أنهم حادوا عن سواء**

(١) سلمان ، الامام القرطبي، ص١٤؛ السنوسي، القرطبي، ص٨٨.

(٢) السنوسي، القرطبي، ص٩٥؛ حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٣٨.

(٣) الديباج المذهب، ج٢، ص٣٠٩، حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٣٦.

السبيل فهم يظلمون ويرتشون وتسودُ عندهم أهل الكتاب لذا فهم ليسوا اهلاً للطاعة ولا تقدير"[١].

ثالثاً: بساطة الامام القرطبي وتواضعه:

كان الامام القرطبي يعُنى بمظهره دون تكلف وبذخ، ولم يكن من أصحاب الأملاك والأموال، وكان بعيداً عن حياة الترف ومما يؤكد ذلك قول المقري عنه، إذ يقول: " **كان القرطبي يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقيه**"[٢].

رابعاً: الجدية والعزيمة في حياة الامام القرطبي

اشتهر الامام القرطبي بالجدية والعزيمة في حياته، إذ إنه كرّس حياته للعلم والمطالعة والتأليف، دون أن يعرقله عائق او مأزق، وقد تحدث بن فرحون(٧٩٩هـ/١٣٩٦م) عن هذا بقوله: " **أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف**"[٣]، بينما قال عنه الزركلي: " **من كبار المفسرين صالح متعبد**"[٤].

خامساً: عفة اللسان ورقة العبارة

عرف عن الامام القرطبي عفة اللسان ورقة العبارة، وحُسن المناظرة وادب الحوار مع الأخرين[٥].

---

(١) سلمان، الامام القرطبي، ص٣١، السنوسي، القرطبي، ص١٧.

(٢) نفح الطيب، ج٢، ص٢١٠، حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٣٦.

(٣) الديباج المذهب، ج٢، ص٣٠٨، حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٣٦.

(٤) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط٥، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٨م) ج٥، ص٣٢٢.

(٥) حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٣٩، سلمان، الامام القرطبي، ص١٦٣.

سادساً: الأمانة عند الامام القرطبي

كان الامام القرطبي يلتزم بالأصول العلمية ويتبع أساليب العلماء الفضلاء الذين لا يعينهم إلا أن يثبتوا الفضل لأهله، ويتورعوا عن أن ينسبوا لأنفسهم ما ليس لهم، وهذه هي أسس الأمانة العلمية التي يعمل علماء العالم في الوقت الحاضر على تأصيلها وتثبيت قيمتها واتخاذ أساليب تنفيذها، ونجد ذلك في قول الامام القرطبي: "**من بركة العلم أن يضاف إلى قائله**"(١).

سابعاً: اجتهاد الامام القرطبي وكثرة مطالعته:

سار الامام القرطبي على مقولة اجتهد ولا تكف عن الاجتهاد فكان مجتهدا، وكثير المطالعة مجداً في التحصيل، كثير الحديث عما يشكل، وكان يحب الكتب حباً جماً ويحرص على جمعها واقتنائها وعرف عنه الولع بقراءة الكتب منذ نعومة اظفاره(٢).

ثامناً: الانصاف عند الامام القرطبي:

كان الامام القرطبي منصفاً لا يتعصب لرأي من الآراء وهذا أجمل شيء في حياة الامام، إذ إنه لا يتعصب لمذهبه بل يتبع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنه الصواب أياً كان قائله(٣).

تاسعاً: الناقد الخبير

---

(١) الجامع لأحكام القران، ج٣،ص١، سلمان، الامام القرطبي، ص١٥٨.

(٢) سلمان، الامام القرطبي، ص١٦٢، السنوسي، القرطبي، ص٢١٢.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج١، ص٨؛ حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٣٨؛ السنوسي، القرطبي، ص١٢١.

بسبب عقليته النيرة عرف عنه أنه كان نقّاداً محّاصاً، يميز بين الغث والسمين وبين المقبول والمردود[١].

ذ- مذهب الامام القرطبي:

كان الامام القرطبي على المذهب المالكي[٢] الذي كان المذهب الرسمي لأهل الأندلس، وقد انتشر هذا المذهب عن طريق الشيخ الفقيه يحيى بن يحيى الليثي الذي لُقب ب(عاقل الاندلس)[٣].

وعرف عن الامام القرطبي أنه كان مالكي المذهب ومن المجتهدين فيه، فهو لم يكتفي بآراء الامام مالك وبعض شيوخ المالكية دون تعقيب، بل يقوم بتصحيح الاقوال المنسوبة الى مالك، فمثلاً نجد في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**﴾[٤]. فيقول: "**ولابد في غسل الوجه من نقل الماء اليه وامرار اليد عليه، وهذه حقيقة الغسل عندنا، (أي المالكية)، أما غيرنا: إنما عليه امرار الماء وليس عليه دلك بيده**"[٥].

---

(١) حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٣٩؛ السنوسي، القرطبي، ص١٢٢؛ سلمان، الامام القرطبي، ص١٦٥.

(٢) نسبة الى الامام أبي عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن حثييل بن عمرو بن ذي أصبع المدني أمام دار الهجرة صاحب كتاب (الموطأ) ولد سنة (٩٥هـ) وتوفي سنة (١٧٩هـ). أبن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: أحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م)، ص١٣٥-١٣٦.

(٣) الليثي، أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن دسلاس بن شمال بن منغايا الليثي، أصله من البربر من قبيلة مصمودة، تولى بني ليث فنسب اليهم وكان الامام مالك يسميه عاقل الاندلس، توفي سنة (٢٣٤هـ) ودفن في قرطبة. أبن خلكان، وفيات الاعيان، ج٦، ص١٤٢-١٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج٧، ص٣٢٧.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**﴾[١] يقول: " **اختلفوا في المقدار المطلوب مسحه على أحد عشر قولاً، ثلاثة لأبي حنيفة، وقولان للشافعي، وستة اقوال لعلمائنا(ويقصد المالكية)**"[٢].

ر-وفاته

حياة العظماء حقاً تنتهي بالموت كغيرهم لكنهم يختلفون عن الأخرين بتخليد ذكرهم وتركهم لآثار تدل عليهم، فبعد أن قضى الامام القرطبي عمره بين تعلم وعبادة وتصنيف جاءته سكرة الموت وهو **بمنية بني خصيب**[٣] من **الصعيد الأدنى**[٤] بمصر وذلك يوم الاثنين من شهر شوال من سنة إحدى وسبعين وستمائة (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)[٥] ودفن هناك وقبره معروف اليوم بمكان (**قبر أرض السلطان**)[١].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج٧، ص٣٣٥.

(٣)**منية بني خصيب:** مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الضفة الشرقية، وهي عامرة كثيرة الأسواق والحمامات وسائر مرافق المدن وحولها جنان وارض متصلة العمارات وقصب واعناب كثيرة ومتنزهات. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٨، ص١٨٨، المقريزي، تقي الدين بن علي، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار**، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، (مطبعة مدبولي، القاهرة، ض١٩٩٨م)، ج١، ص٣٦٢.

(٤)**الصعيد الادنى:** وجه الأرض بلاد واسعة كبيرة فيها عدة مدن عظام وفيها عجائب عظيمة وأثار قديمة في جبالها وبلادها مغائر مملوءة من موتى الناس، وهو في أعالي بلاد مصر، وفيها أسواق وتجار وقرى وعمارات، ولها ربض عليه سور حصين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٩١، الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: أحسان عباس، ط٢، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م)، ص٣٦١-٣٦٢.

(٥) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٩٢، كحالة، محمد رضا، **معجم المؤلفين تراجم مُصنفي الكتب العربية**، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج٣، ص٥٢.

وقد قام أهالي مصر ببناء مسجد في منية بني خصيب أطلق عليه اسم (الامام القرطبي) وبنوا أيضاً ضريحاً يسمى ضريح القرطبي[٢].

٢- سيرته العلمية

أ- مكانته العلمية

احتل الامام القرطبي مكانة متميزة في العلم وبين العلماء، وكرس حياته للعلم والمطالعة والتأليف وخدمة هذا الدين العظيم بكل إخلاص ورحل في سبيل ذلك من بلد إلى بلد آخر. وعبر البحار وعانى الاجهاد والتعب ومشقة السفر، وألم ضياع الأوطان، لكن الوطن الحقيقي والملاذ الآمن للمسلم هو الإسلام والقرآن الكريم، وهذا ما نشعره من مؤلفاته[٣]، وسار الامام القرطبي على نهج السلف الصالح فعاش حياة الزهد والورع والابتعاد عن الأمراء والحكام وعدم التودد اليهم، وعندما تبحث عن ترجمة الامام القرطبي تجد أمامك المقولة الآتية: " **وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه**"[٤].

ب- رحلاته العلمية

---

(١) **قبر أرض السلطان:** هو قبر الامام القرطبي معروف بـ(ارض السلطان) موجود الأن في محافظة المنيا في مصر اذ بني حديثاً وتم بناء مسجد سمي باسم الامام القرطبي، وبجوار المسجد ضريح اذ نقلت رفات القرطبي اليه-، سلمان، الامام القرطبي، ص٤٥.

(٢) سلمان، الامام القرطبي، ص٤٦، السنوسي، القرطبي، ص٩٥.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج١، ص٣٨، السنوسي، القرطبي، ص١٢٤.

(٤) الكتبي، محمد بن شاكر(ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ، **فوات الوفيات**، تحقيق: أحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م)،ج٢، ص١٣١، المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢١٠، حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٣٣٦.

أولاً: رحلة محلية (قرطبة)

كانت مدينة قرطبة العاصمة لبلاد الأندلس، فأصبحت ذروة الذرى وبغية المبتغى، محط الراية وأم الحواضر والأمصار وموطن الخير والاخيار وموئل الحكمة بعدها والختام، قلب البلاد ومنبع العلم والاعلام، قبة الإسلام ومجلس الامام موطن الراي السديد، حديقة ثمار الفكر ومنبت رايات العصر وفرسان الشعر والنثر منها صدرت أصفى التواليف وأنفس التصانيف[١].

وقرطبة مدينة أندلسية عريقة امتزج بها التاريخ والحضارة وأصبحت قبلة العلم والعلماء ومركزاً للإشعاع الفكر الإسلامي في العصور الاسلامية حتى صارت ملتقى للدارسين القادمين من الشرق والغرب للاطلاع على العلوم والتزود بها، واستمرت في عطائها الحضاري الإسلامي حتى سنة(٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)[٢].

وبلغت قرطبة أوج عزها في عهد **الخليفة عبدالرحمن الثالث**(٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)[٣]، ففي عهد هذا الحاكم الناشط الباهر، بلغ الإسلام في الأندلس ذروة التوسع والانجاز الحضاري فسارعت الدول المجاورة للأندلس إلى إرسال السفراء

---

(١) أبن الاثير، عز الدين ابي الحسن بن عبدالكريم بن الواحد الشيباني،(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: أبي الفداء عبدالله الفاطمي،ط١،(دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٧م)، ج٩، ص٢٢١.

(٢) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري،(ت١٢٧٩هـ/ ١٨٦٣م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، (دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م)، ج٢، ص٢٢٠؛ ذنون، عبدالواحد طه، خليل إبراهيم السامرائي، ناطق صالح مطلوب، **تاريخ المغرب العربي**، ط١، (دار المدار الإسلامي، ليبيا، ١٩٨٨م)، ص٤٠٤.

(٣) عبدالرحمن الثالث: هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن الحكم، ولد سنة (٢٧٧هـ) وتولى الحكم سنة (٣٠٠هـ) وأعلن الخلافة سنة (٣١٦هـ) أخمد ثورات المتمردين ، وبنى مدينة الزهراء وتوفي سنة (٣٥٠هـ) . الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٧، ص٨٩١-٨٩٣.

والبعثات[١] إلى مدينة قرطبة لتقديم الولاء واخذ العلوم والفنون منها واعترافاً منهم بأهمية دور المدينة في المنطقة[٢].

وأصبحت قرطبة مركزاً للفكر الإسلامي وجامعة لنشر العلم في أوربا ويستدل على ذلك بمكتبتها الضخمة من جهة، وبما صار للتعليم أفضلية واضحة في المدينة، حتى أن الخليفة **الحكم بن عبدالرحمن الثالث**(٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م)[٣] كان مؤرخاً ذو شأن، فقد عمل على استقدام العلماء من المشرق الإسلامي ليقوموا بالتدريس في الجامع الكبير، وأوقف لهم وأجرى عليهم المعاش، وشيد سبعاً وعشرين مدرسة مجانية ، ولعل من أشهرها مدرسة مسلمة المجريطي في الكيمياء والرياضيات والفلك، ومدرسة أبي القاسم الزهاوي في الطب، ومدرسة أبي الحسن الزهراوي في الهندسة[٤].

وعرف عن المستنصر(٣٦٦هـ/٩٧٦م) عنايته الكبير بالكتب، لذا بنى له مكتبة ضخمة في القصر ضمت أربعمائة ألف كتاب تقع فهارسها في أربعة وعشرين مجلداً، وثمة عامل آخر لا يقل أهمية في انتشار القراءة وتطور قرطبة، إلا وهو وجود المدارس الإسلامية التي كانت تستعمل عشرات النساء النساخات وهذه المدارس بمثابة

---

(١) مثل مملكة ليون، ومملكة نبرة، وإمارة برشلونة، وكانت السفارات الأجنبية تخطب وُد الناصر مثل سفارة بطرس بن سيمون الكبير ملك بلغاريا، وسفارة للبابا في عهد يوحنا الثاني عشر، وكان الناصر يستقبل هذه السفارات بحفاوة ويلبي مطالبها، أبن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤٤.

(٢)أبن عذارى، أبو عبدالله محمد المراكشي،(ت٧١٢هـ/١٣١٢م)، **البيان المغرب في أخبار أهل الاندلس والمغرب**، تحقيق: ج. س. كولان، وليفي بروفنسال، ط٣، (دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م)، ج٢، ص١٥٦-١٥٧؛ سلمان، الامام القرطبي، ص٣٤.

(٣) الحكم بن عبدالرحمن الثالث: هو الحكم بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك، وامه أم ولد تسمى مرجان، ولد سنة(٣٠٢هـ)، وتوفي سنة (٣٦٦هـ) وعمره (٦٣) سنة. أبن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٣.

(٤) دياب، حامد الشافعي، **الكتب والمكتبات في الاندلس**، ط١، (دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م)، ص٥١.

دور النشر الآن[١]، وصار للجامع الكبير في قرطبة دور كبير في تطور الفن المعماري الإسلامي بوصفه إنموذجاً فريداً لفن العمارة الإسلامية وأصبح مركزاً فكرياً فضلاً عن كونه مكاناً للعبادة والصلوات، بسبب وجود المكتبة الضخمة فيه، وكانت تضم الاف من المخطوطات والمجلدات من مختلف العلوم[٢].

فكان المسجد ملتقى أهل العلم والمعرفة، وهو الحلقة الأولى من التطور العلمي والتعليمي في المدينة وبمرور الوقت أصبحت قرطبة مركزاً مشهوراً للدراسة العالية[٣]، وبسبب كل هذه العوامل صارت قرطبة تنافس بغداد حول الزعامة والقيادة في العالم الإسلامي وازدهرت كل الحرف في المدينة، وأصبحت قرطبة القلب النابض لأوروبا والشمس الذي أضاء نور المعرفة لشعوبها، ومن البديهي أن الامام القرطبي تنقل بين هذه الأجواء العلمية للمدينة، وحضر مجالس العلم وأخذ من علماء قرطبة، وهذه الرحلة العلمية المحلية ساهمت في تكوين شخصية الامام القرطبي[٤].

ثانياً: رحلته الإقليمية – رحلة إلى مصر

١- القاهرة:

(١) عطارد، تقي عبود، **تطور الطب في الاندلس منذ عهد الخلافة بني أمية حتى نهاية عصر الموحدين(٢٧٣-٦٢٠هـ)**، مجلة جامعة ديالى، العلوم الإنسانية، العدد،٣، مجلد، ٢١، ٢٠١٣م، ص٧٦٥.

(٢) الجيوسي، سلمى الخضراء، **الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس**، ط٢، (دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م)، ج١، ص١٨٣، عطارد، تطور الطب، ص٧٦٨.

(٣) السنوسي، القرطبي، ص٣٥؛ دياب، الكتب والمكتبات في الاندلس، ص٥٧.

(٤) سلمان، الامام القرطبي، ص٤١، السنوسي، القرطبي، ص٣٧.

عاش الامام القرطبي في **عصر المماليك**[١] في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) الذين استثمروا تدهور أوضاع العالم لصالحهم بكل براعة لأجل تثبيت سلطتهم، والحصول على الشرعية الضرورية في حكم البلاد والعباد لذا رحبوا بالعلماء والأدباء والشعراء، وأمدوهم بالأموال والهدايا، وبنوا المدارس والمساجد وأكثروا من عمارة القاهرة لأجل رفعة شأن المدينة[٢]، مما دفع بالصفوة من أهل العلم بالقدوم إلى القاهرة، فجعلت من عصر المماليك من أغنى العصور بالمؤلفات والعلماء والأدباء، وأصبحت القاهرة مركزاً ومنبراً للعلم، ومحطة للتجارة العالمية والطريق الرئيس لتجارة الشرق وبوابة العبور أوروبا[٣].

وقد شكل احتلال بغداد على يد **هولاكو**[٤] سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) فرصة مناسبة للقاهرة، لكي تصبح حاضرة الخلافة والحضارة والثقافة الإسلامية المتجددة ومنبعاً

---

(١) **العصر المملوك:** جمعه مماليك، وهو العبد الذي سُبي ولم يملك ابواه. أبن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري، (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، تحقيق: عامر احمد حيدر، (دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٣م)،ج١٠، ص٤٩٣.

(٢) شبولر، برتولد، **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، ترجمة: خالد اسعد عيسى، ط١، (دار احسان- دمشق، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)، ص١٠٩.

(٣) بدر، مصطفى طه، **محنة الإسلام الكبرى**، ط٢، (الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م)، ص٢٢٠.

(٤) **هولاكو:** هو هولاكو بن تولوي بن جنكيزخان بن بهادر خان ملك التتار ومقدمهم، كان من اعظم ملوك التتار، شجاعاً حازماً، ذا همة عالية وسطوة ومهابة ونهضة تامة، وخبرة بالحروب وطوى البلاد واستولى على الممالك في أيسر مدة، وقتل الخليفة العباسي وأمراء العراق وكان هلاكه بعلة الصرع سنة (٦٦٣هـ) بمدينة مراغة، ونقل الى قلعة تلا، وبنوا عليه قبة، وله من العمر ستون سنة، وقد اباد اماماً لا يحصيهم الا الله، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج، ص١٠٥-١٠٦.

للعلوم والآداب والفنون وقطباً للجاذبية الإسلامية التي أصبحت جاذبة لقلوب المسلمين اليها، فجعلت منهم اساساً للنهوض بالحضارة الإسلامية من جديد بعد انهيار الدولة العباسية سنة(٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)[١]، ومما زاد في أهمية القاهرة في العالم الإسلامي انتصار المماليك على المغول في معركة **عين جالوت**[٢] سنة(٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، إذ جعلت هذه المعركة من سلطة المماليك القوة الرئيسة في الشرق[٣].

وكان من أهم نتائج معركة عين جالوت أنها بعثت روحاً جديداً في نفوس المسلمين وأظهرت للوجود قوة جديدة فتية للدفاع عن الإسلام والمتمثلة بالدولة المملوكية التي نجحت بالتصدي للمغول وكسر شوكتهم[٤]، ويبدو أن الامام القرطبي كان مدركاً لأثر القاهرة في السياسة الدولية في المستقبل القريب لذا فضل الإقامة فيها لكي يلقى علمائها ويأخذ منهم، ويفيد من خبراتهم، كما أن القاهرة محطة للذهاب إلى المدن المصرية الأخرى[٥].

---

(١) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد أحمد عيسى،ط١، (دار الغد الجديدة، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)،ص٤٢١.

(٢) **عين جالوت:** قرية واقعة بين بيسان والعفولة وتقع على الحدود مع قضاء جنين، كما تقع في منتصف الطريق بين قريتي نورس وزرعين، ويذكرها السكان بعين جالود، وهي قرية عامرة وبها عين جارية. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، (دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١م)، ج٣،ص٢٠٤.

(٣) شبولر، العالم الإسلامي،ص١٠٥، قاسم، قاسم عبده، **الرؤية الحضارية للتاريخ قراءة في التراث التاريخي العربي**، (دار المعارف، ١٩٨٥م)، ص١١٥.

(٤) فهمي، عبدالسلام عبدالعزيز، **تاريخ الدولة المغولية في ايران**، (دار المعارف، اسكندرية، ١٩٨١م)، ص١٤٦.

(٥) سلمان، الامام القرطبي، ص٣٩.

٢- الإسكندرية[١]

كانت مدينة الإسكندرية مهمة جداً لحكام مصر عبر التاريخ وتبرز أهمية المدينة بشكل لافت من الناحية الدينية، إذ اشتهرت المدينة بكثرة مساجدها ووفرة ما يصرف عليها وعلى القائمين بها[٢]، حتى ان هذه المدينة أثارت اعجاب الرحالة ابن جبير (ت٦١٤/ ١٢١٧م) حتى قال عنها: "**هو ثغر الإسكندرية أكثر بلاد الله مساجداً**"[٣]، لذا فأن كثرة منارات المساجد كانت تبهر كل الزوار. وهناك ارتباط وثيق قديم بين الإسكندرية والمغرب العربي، فهي أول مدينة مصرية ينزل فيها الحجاج المغاربة، ولاسيما القادمون عن طريق البر في طريقهم إلى مكة المكرمة، حتى أطلق عليها(باب المغرب)[٤].

وارتفعت مكانة المدينة في عصر المماليك حتى أصبحت الميناء الأول وهذا راجع الى أن تجارة مصر الخارجية مع الشرق والغرب، قد ازدهرت في هذا العصر وأصبحت الرسوم المفروضة على التجارة مورداً مهماً من موارد الدولة وكانت

---

(١) **الاسكندرية:** مدينة كبيرة من اقدم مصر، وهي ذات حضارة عريقة، وفيها منارة بولغ في وصفها الى حد كبير وقد بناها الاسكندر بن فيلبس وهي على ساحل البحر المالح وهي عمالة مصر وقاعدة من قواعدها، وبنيت سنة(٣٣٢م) والمدينة من تخطيط المهندس دينوقراطيس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٨٢، الحميري، الروض المعطار، ص٥٤-٥٥.

(٢) الشيال، جمال الدين، **تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي**، (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ص٦٦.

(٣) أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الاندلسي الشاطي، **تذكرة بالأخبار على اتفاقات الاسفار**، (دار صادر، بيروت،١٩٦٤م)، ص١٧.

(٤) الشيال، تاريخ مدينة الإسكندرية، ص٦٩، السنوسي، القرطبي، ص٤٩.

الإسكندرية هي الميناء الوحيد لمرور هذه التجارة لذا أثرت إيجابياً على تطور المدينة حضارياً[١].

لذا أكثر المماليك من بناء المدارس والمساجد في مدينة الإسكندرية وكانت هذه المؤسسات العلمية تقوم على أساس التصوف وهذا يدل على كثرة العلماء وطلاب العلم والزهاد والمتصوفين المقيمين في المدينة[٢]. ويبدو أن الامام القرطبي كان يُحسن اختيار المكان المناسب للسكن فيه، لأن غرضه نيل العلم والمعرفة من العلماء والشيوخ[٣].

٣- صعيد مصر

كان الامام القرطبي شخصاً مجتهداً سار في طريق العلم سيرة العلماء الزاهدين، وأجهد نفسه في تحصيل العلم حتى نال العلم الغزير، ومالت نفسه إلى الزهد، واحتقار الدنيا، فانسلخ منها، وخلص للعبادة والتأليف[٤]. ولم يسعَ إلى كسب الجاه بين الجماهير، بمظاهر من التقى والقدرة على القيام بما تصور أنه خوارق أو كرامات

(١) أبن بطوطة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٨م)، **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار**، تحقيق: كرم البستاني،(دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م)، ص٣٧.

(٢) عز الدين، محمد كمال الدين، **الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة**، ط١، (عالم الكتب، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص٤٥.

(٣) السنوسي، القرطبي، ص٥٢.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٤٠٩، السنوسي، القرطبي، ص٧٢.

فيلتف حوله العوام ويتمسكون به تمسكاً شديدا، ويصانعه الحكام، أما عن جهل لحقيقة الدين أو عن خبث للسيطرة على قلوب الجماهير(١).

وينطبق هذا الوصف في اختيارات الامام القرطبي للمدن التي سكن فيها بزمانه فاختياره لصعيد مصر لم يكن بدون دراسة وتفكير عميق لأنه كان يهدف الى تحقيق الغايات الآتية:

١-الابتعاد عن الأضواء قدر الإمكان وعدم التقرب إلى الحكام لأنهم في نظره منحرفين عن الإسلام(٢).

٢-التفرغ للعبادة والتأليف وأخذ العلم من مجالس العلماء وحلقات الشيوخ في صعيد مصر.

٣-المشاركة بفعالية تامة في نشر الدين الإسلامي بين النصارى وفق خطة مرسومة من قبل حكام المماليك لنشر الإسلام بين أهالي البلاد(٣).

فالأمام القرطبي كان يدرك حقيقة لا شك فيها وهي أن الإسلام منذ أن أنزل الله القران الكريم على النبي(ﷺ) لم يتوقف سيره وتوسعه قط. فسواء أكانت هناك دول قوية تعمل على نشره، أو لم تكن هناك الا دولاً ضعيفة مفككة لا تقوى على الحفاظ على كيانها، أو كانت هناك جماعات الاسلام امنة أو محاطة بالأعداء ومثقلة بالأزمات فأن

(١) عز الدين، الحركة العلمية، ص٢٤، السنوسي، القرطبي، ص٧٣.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القران ، ج٣، ص٢٢٧، سلمان، الامام القرطبي، ص٥٠.
(٣) السنوسي، القرطبي، ص٨٠؛ عاشور، سعيد عبدالفتاح، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م)، ص١٣.

الإسلام يسير في العادة في طريقه مظفرا، لا يتأثر بأحوال المسلمين وما يجري عليهم من ظروف الزمان(١).

ت- شيوخ القرطبي

تلقى الامام القرطبي تعليمه الأول في بلاد الأندلس ثم أضطر بعد ذلك الى الانتقال الى مصر ليكمل مشواره العلمي فيها. فمن الطبيعي ان يكون للأمام القرطبي شيوخاً في البلدين كليهما، لذا تم تقسيم هذا الجانب على قسمين وعلى النحو الآتي:-

اولاً: شيوخ الامام القرطبي في الاندلس

ومن أبرز شيوخ الامام القرطبي في الأندلس هم:-

١-ابن حوط الله(ت٦١٢هـ/ ١٢١٤م)(٢)

هو الامام أبو محمد عبدالله بن سليمان بن داود بن حوط الله الانصاري ولد سنة (٥٤٩هـ)، وألّف كتاباً في رجال الكتب الخمسة، وكان خطيباً بليغاً شاعراً نحوياً، وتصدر القراءات والعربية، ونال عزاً ووجاهة واسعة، وتولى قضاء قرطبة، وقد اخذ منه الامام القرطبي(٣).

٢-ابن ربيع الاشعري (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)(٤).

---

(١) مؤنس، حسين، **عالم الإسلام**، (الزهراء للأعلام، القاهرة، ١٩٧٣م)، ص١٩٢، عبدالحليم، رجب محمود، انتشار الإسلام بين المغول، (دار النهضة العربية، القاهرة، بلات)، ص٢٣٠.

(٢) النباهي، أبو الحسن بن عبدالله بن حسن المالقي، **تاريخ قضاة الاندلس**، ط٥، (دار الأفاق الجديدة- بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص١١٣.

(٣) السنوسي، القرطبي، ص٩٧؛ سلمان، الامام القرطبي، ص٦٩،

(٤) سلمان، الامام القرطبي، ،ص٦٥.

هو ابو سليمان ربيع بن عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن الأشعري، من أهل قرطبة وآخر قضاتها وهو من بيت نباهة ووجاهة، وكان رجلاً صالحاً عدلاً في أحكامه وكانت له مشاركة في علم الحديث. ويقول القرطبي إنه سأل السؤال نفسه المتعلق بوالده المقتول أثناء غزو الاسبان الشيخ ربيع الاشعري، فقال: " **إن حكمه حكم القتلى في المعترك**"[١].

٣-يحيى الاشعري(ت٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)[٢]

هو ابو عامر يحيى بن عبدالرحمن بن أحمد بن ربيع الاشعري، ولقبه الامام القرطبي ب(الشيخ الفقيه الامام المحدث القاضي)، وقد روى عنه القرطبي، وقد ولد سنة (٥٥٣هـ).

٤-ابن ابي حجة (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)[٣].

وهو الشيخ ابو جعفر أحمد بن محمد القيسي المعروف ب (ابن أبي حجة) من أهل قرطبة تصدر لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العربية، وأسره الروم في البحر فأمتحن بالتعذيب، وتوفي إثر ذلك ومن أهم مؤلفاته:

مختصر التبصرة في القرآءات، تسديد اللسان لذكر أنواع البيان، تفهيم القلوب آيات علام الغيوب، وقد تلقى الامام القرطبي على يده القراءات السبع، ويذكر الامام

---

(١) الجامع، لأحكام القران، ج٤، ص٢٧٣.

(٢) الجامع لأحكام القران، ج٤،ص٢٧٢؛ حسين، تاريخ الإسلام، ج٤٦، ص٤٢١.

(٣) أبن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي الدمشقي الشافعي، (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ط١، (دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص١١٨.

القرطبي أنه سأل شيخه بن ابي حجه حول كيفية تكفين ودفن والده الذي قتل على يد النصارى، فقال: غسّله وصلَّ عليه فإن أباك لم يقتل في المعترك بين الصفين[١].

٥-ابن قطرال(ت٦٥١هـ/ ١٢٥٣م)

هو ابن الحسن علي بن عبدالله بن محمد الانصاري القرطبي المعروف (بأبن قطرال) المالكي، يقال إنه ولد سنة(٥٦٣هـ)، ولُقب بالمنكب، وأخذ قراءة نافع وكان رجلاً من رجال الكمال علماً وعملاً يشارك في عدة فنون ويمتاز بالبلاغة، توفي بمدينة **مراكش**[٢] بالمغرب العربي وهو احد اعلام زمانه[٣].

ثانياً: شيوخ الامام القرطبي في مصر

ومن أبرز شيوخ الامام القرطبي في مصر:

١-ابن رواج (ت ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)

هو الامام رشيد الدين أبو محمد عبدالوهاب بن ظافر علي بن فتوح بن حسين الأزدي القرشي، الاسكندراني المالكي ولد سنة (٥٥٤هـ)، وكان فقيهاً فطناً ديناً، متواضعاً، صحيح السماع وكان تأثيره على الامام القرطبي كبيراً[٤].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القران ، ج٤،ص٢٧٣.

(٢) **مراكش:** تقع شمال اغمات وعلى بعد اثني عشر ميلاً منها بداخل المغرب، بناها يوسف بن تاشفين سنة (٤٧٠هـ)، وهي في وطاء من الأرض وليس حولها من الجبال إلا جبل صغير يسمى (ايجليز) ثم بنى علي بن يوسف حولها سور سنة (٥١٤هـ)، ومياه مراكش قريبة، وبساتينها تسقى بالإبار، وازقتها واسعة، وأرجاؤها فسيحة وهي اكثر بلاد المغرب جنات وبساتين، الحميري، الروض المعطار، ص٥٤٠-٥٤١.

(٣) الذهبي، **سير اعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الارنووط و محمد نعيم،ط٤، (مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٦م)، ج٢٣، ص٣٠٤؛ سلمان، الامام القرطبي، ص٦٩.

(٤) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٩٢؛ أبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ص٢٤٢.

٢-ابن الجميزي (ت ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م)[١].

هو الشيخ بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي المصري الخطيب المدرس، ولد سنة (٥٥٩هـ)، ورحل مع أبيه إلى بغداد، وبرع في المذهب الشافعي، وكان مدرساً بزاوية الامام الشافعي في مصر، وكان الامام القرطبي يسميه (أبو الحسن اللخمي)[٢].

٣-الحسن البكري (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

هو المحدث العالم المصنف صدر الدين ابو علي الحسن بن محمد بن عمروك القرشي، التميمي النيسابوري، ثم الدمشقي، تلقى العلم على أيدي علماء مكة ودمشق ورحل إلى مصر، ومات بها[٣].

٤-أبو العباس القرطبي(ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

هو أبو العباس ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الانصاري القرطبي كان من أعيان فقهاء المالكية، ولد بقرطبة ورحل مع أبيه من الأندلس عندما كان صغيراً فسمع كثيراً بمكة والمدينة المنورة، وكان بارعاً في الفقه والعربية وعلم الحديث، ومن مؤلفاته: (المفهم مما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)، وقد ذكره الامام القرطبي في تفسيره، وتوفي سنة(٦٥٦هـ)[٤].

---

(١) أبن الجزري، غاية النهاية، ج١، ص٥٨٣؛ السيوطي، طبقات المفسرين، ص٩٣، أبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٤٦.

(٢) الجامع لأحكام القران، ج٥، ص١٣٤.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٥١؛ الداودي، طبقات المفسرين، ج٢، ص٧٠؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢١٠.

(٤) الداودي، طبقات المفسرين، ج٢، ص٧٠؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢١٠.

٥-ابن عُميرة (ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)[١]

هو أحمد بن عبدالله بن محمد بن الحسين أبو المطرف الأديب، وقد ولد سنة (٥٨٢هـ)، وتوفي في بلاد المغرب.

٦-الحميري (ت٦٧٨هـ/ ١٢٨٠م)

هو الشيخ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل أبو الذبيح المعروف بأبي الفداء الحميري، الحضرمي، ومن مؤلفاته: مختصر مسلم[٢].

٧-القرافي (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبدالرحمن بن عبدالله بن بلين الصنهاجي، البهفشي المصري، المالكي وكان عالماً في مذهبه وكان له صداقة قوية مع الامام القرطبي وأخذ منه الكثير وكان القرافي بارعاً في الفقه والأصول والعلوم العقلية، وانتهت إليه رياسة الفقه على مذهب مالك[٣].

٨-أبو الحسن اليحصبي(مجهول الوفاة)

هو الشيخ علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبدالعزيز بن حفص يكنى أبا الحسن، من أهالي قرطبة[٤].

---

(١) السنوسي، القرطبي، ص٩٨.

(٢) اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي، (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، **مرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، تحقيق: خليل المنصور، ط١، (دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٧م)، ج٤، ص١٧٦؛ أبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٦١.

(٣) أبن فرحون، الديباج المذهب، ج١، ص٢٣٩؛ أبن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، (ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، **دُرة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق: محمد الاحمدي أبو النور، ط١، (مكتبة السنة المحمدية، عابدين،١٩٧١م)، ج١، ص٨.

(٤) المقري، نفح الطيب،ج٢، ص٢١٠.

ثـ- تلاميذ الامام القرطبي

إن الكتب التاريخية أو التراجم لا تذكر أسماء تلاميذ الامام القرطبي إلا بالشيء القليل جداً أو تأتي على اسم أو اسمين فقط، والسبب في ذلك ربما يعود إلى استقرار الامام القرطبي في منطقة منية بني خصيب البعيدة عن القاهرة، أضف إلى أن الامام القرطبي اقتصر على مخالطة العلماء والاتقياء فقط، ولم يكن يحب الظهور أمام أهل الجاه والسلطة وهذا راجع إلى رأيه السلبي فيهم، ومع ذلك فإن أسماء تلاميذ الامام القرطبي قليلة لا تتجاوز أصابع اليد ونذكر منهم:

أولاً: أبنه **شهاب الدين أحمد**[١]

ثانياً: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم الثقفي(ت٧٠٨هـ/١٣٠٨م)[٢]

ثالثاً: ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي الطريحي[٣]

---

(١) **شهاب الدين احمد:** بن ابي عبدالله محمد بن أحمد بن ابي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي الاندلسي المصري، اخذ العلم من والده الامام القرطبي الذي أجازه. السيوطي، طبقات المفسرين، ج١، ص١٦.

(٢) **أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي:** العاصمي الجياني المولد الغرناطي المنشأ، كان محدثاً جليلاً، ماهراً، نحوياً، فصيحاً، مفوهاً حسن الخط، مقرئاً مفسراً، مؤرخاً، ولي الخطابة والامامة بالجامع الكبير، وكان محدث الاندلس والمغرب في زمانه، وصنف تعليقاً على كتاب سيبويه، والذيل على صلة ابن بشكوال، وغيره، ولد سنة (٦٢٧هـ) وتوفي سنة (٧٠٨هـ). الداودي، طبقات المفسرين، ج١، ص٢٧-٢٨.

(٣) **هو ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي الطريحي:** ذكره الامام القرطبي في كتابه (التذكرة في أحوال الموتى) وأنفراد الامام بذكر هذا التلميذ ربما يكون دليل على أن للقرطبي أكثر من تلميذ لكنهم مجهولون، اذ ان المصادر التاريخية لم تذكرهم لعدم علو شأنهم، وقد يبدو ذلك واضحاً من خلال وجود أسم ضياء الدين فقط في كتاب (التذكرة في أحوال الموتى). سلمان، الامام القرطبي، ص٩٤.